المحاضرة الثانية: نشأة علم الاجتماع

على الرغم من ان علم الاجتماع علم حديث النشأة, إلا أن التفكير الاجتماعي قديم قدم الوجود الانساني, حيث أن الانسان الأول الذي كان يعتمد على الجاهز من الطبيعة في غذاءه , وكان يتخذ من المغارات والكهوف مأوى له لم يكن يدرك حقيقة الظواهر التي تحدث من حوله, سرعان ما تدرج على سلم المعرفة لينتقل من المعرفة الحسية البسيطة إلى محاولات إيجاد تفسير للظواهر بإرجاعها إلى قوي غيبية ميتافيزيقية وهي المعارف التي طبعت الحضارات الانسانية الأولى مثل الحضارة الفرعونية والبابلية (بلاد الرافدين) و الحضارة الهندية والصينية , والتي تميزت في مجملها بوجهة النظر الغائية والمعيارية. , (يقصد بالغائية البحث عن ما ينبغي أن يكون عليه الاجتماعي والسياسي , أما المعيارية فهي تلك القواعد والوسائل التي بمقتضاها تتحقق المثل العليا والغائية المطلوبة , وتمثلها وجهة نظر الفلاسفة والمفكرين في العصر اليوناني كما تبلورت في كتاب الجمهورية لافلاطون وكتاب السياسة لارسطو)

كما اتجه الفكر الروماني نحو وضع دعائم الحقوق والتشريع , وفلسفة الخالق مبتعدا بذلك عن الفلسفة الاجتماعية.

وعند ظهور الاسلام وانتشاره في القرن السابع الميلادي انتشرت معه المبادئ الاجتماعية الجديدة التي تضمنها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة , ومن أشهر المفكرين المسلمين نجد الفارابي (صاحب كتاب أراء أهل المدينة الفاضلة) وابن خلدون الذي نادي بضرورة إنشاء علم العمران البشري .

-الظروف الممهدة لنشأة علم الاجتماع

سبق المفكر العربي **عبد الرحمان ابن خلدون** "أوجست كونت" إلى تطوير علم الاجتماع في العالم العربي بأربعة قرون، حيث ناقش في "مقدمته طبائع العمران البشري والاجتماع الانساني" التي عالج فيها معظم القضايا والمشكلات التي تعالج حتى الآن في إطار علم الاجتماع , والتي تضمنها مؤلفه المشهور: " "ديوان المبتدأ والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر". إلا أن صعوبات اللغة والثقافة وسقوط الحضارة العربية الاسلامية وصعود الحضارة الغربية حال دون اتصال واستمرار أعمال ابن خلدون.

اما النشأة الغربية لعلم الاجتماع فقد كانت على يد" **أوجست كونت**" مرتبطة بظروف التحول الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري والديني التي كان يمر بها المجتمع الأوروبي في ذلك الوقت , حيث أن ظهور علم الاجتماع كان استجابة للتطورات والمشكلات الاجتماعية في مرحلة الانتقال من النظام القديم (الاقطاعي) إلى النظام الجديد (البرجوازي.) و لعل اهم الظروف التي مهدت لنشأة علم الاجتماع في الغرب ما يلي:

1* **التطورات الاجتماعية والاقتصادية:**

وتتمثل في أشكال النمو الاجتماعي والاقتصادي التي عرفتها اوروبا اذ انتقلت من النظام الاقطاعي الى نظام جديد قائم على الرأسمالية والصناعة والعلم اذ ظهرت المدينة الصناعية عوض القرية التي كانت مركز النظام الاقطاعي , لتحمل معها قيما جديدة تحمل شعارات فلسفية وفكرية وسياسية لعل ابرزها تحرير قوى العمل وحرية حركة رؤوس الأموال والتجارة في إطار مبدأ "أدم سميث " "دعه يعمل دعه يمر. "

وقد أفرزت هذه التحولات ظهور الطبقة العاملة من ناحية والملاك الجدد لوسائل الانتاج من ناحية أخرى (الطبقة البرجوازية) وقد أتسمت العلاقة بين الطبقتين الصاعدتين بالتوتر والقلق نتيجة لسعي الاخيرة للسيطرة على وسائل الانتاج وعلى الطبقة العاملة من خلال الاستغلال المفرط للعمال مما أدى إلى تفاقم المشكلات الاجتماعية التي توفر تخصص علمي جديد لدراستها وتمثل هذا التخصص في علم الاجتماع.

2* **التطورات الفكرية الفلسفية:**

كانت التطورات الاجتماعية والاقتصادية التي اشرنا إليها مصحوبة بتطورات فكرية وفلسفية , حيث عمل

النظام الجديد على تقويض أركان المجتمع الاقطاعي القديم الذي كان يقوم على الشرعية الدينية المتمثلة في الكنيسة الكاثوليكية وعلى الفكر الغيبي الالهوتي , وتدعيم النظام الملكي التقليدي العائلي (الملك ظل الله في الارض) حيث أستعمل النظام الجديد أسلحة فكرية جديدة متمثلة في فلسفة التنوير التي تشير إلى تنوير العقول من سيطرة الافكار غير العقلانية.

وتعد فلسفة التنوير أول اتجاه فكري يدعو صراحة لتغيير الوضع القائم عن طريق النقد العقلاني حيث يطلق اسم عصر التنوير على فلاسفة ومفكري القرن الثامن عشر من أمثال "جون لوك" و"دافيد هيوم"

و"مونتيسكيو" و"فولتير" و"جان جاك روسو" و "سان سيمون" و "أدم سميث" , حيث وضعوا الواقع الأوروبي تحت مجهر التحليل والتشريح والنقد وذلك بمعيار العقل الخالص.

3* **التغيرات السياسية :**

إدا كانت الثورة الصناعية تمثل الأرضية المادية التي استجاب لها علم الاجتماع , وفلسفة التنوير تمثل الارضية الفكرية فإن الثورة الفرنسية (1881) تمثل الارضية السياسية لتحول المجتمع الأوروبي وتبلور علم الاجتماع حيث أحدثت بمبادئها السياسية (الحرية, المساواة, الاخوة)هزات كبيرة على الصعيد السياسي لأنها دعت بصراحة إلى إحداث تغييرات سياسية في اوروبا حيث ظهرت الملكيات الدستورية, عوض الملكيات العائلية التقليدية التي تقوم على الحق الإلهي , وكانت بداية لفصل الدين عن الدولة, وأنهت بذلك احتكار الدين من أجل فرض الهيمنة السياسية وفرض الدولة عوض الكنيسة. كان طبيعي أن ينشغل علماء الاجتماع بالتحولات المتعددة التي مر بها المجتمع الأوروبي بالدراسة العلمية حيث ساهموا بأفكارهم في ايجاد علاج لازمة المجتمع . بعد أن تم الانتقال إلى مجتمع جديد أخذ علماء الاجتماع على عاتقهم مهمة دراسة الظواهر الجديدة , والمشكلات التي طغت على السطح جراء التحول السريع للمجتمع